

## ذِكْرُ عَدُوَانِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِالْأَذَى وَالْفِتْنَةِ

صنوف من تعذيب الكفار للمستضعفين من المسلمين

قال ابن إسحاق: إنهم عدوا على من أسلم وأتبع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ويرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم؛ يفتنونهم عن دينهم؛ فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يضل لهم ويعصمه الله منهم، وكان بلال مولى أبي بكر - رضي الله عنهما - لبعض بني جمح مؤلداً من مولديهم.

بلال بن رباح وصبره على التعذيب

(وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة) وكان صادق الإسلام، طاهر القلب<sup>(١)</sup>، وكان أمية بن خلف بن وهب بن (١/٦٠) حدافة بن جمح يخرج - إذا حميت الظهيرة<sup>(٢)</sup> فيطره على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح؛ فيقول: أخلف بالله، لئن قتلتموه على هذا؛ لأتخذنه حناناً<sup>(٣)</sup> حتى مر به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يوماً وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المشكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته، فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه، وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ١/٥٠٢، والتقريب ١/١٠٩، والثقات ٣/٢٨، والإصابة ١/٣٢٦، وتاريخ البخاري الكبير ٢/١٠٦، والبدية والنهاية ٧/١٠٢، والعقد الثمين ٣/٣٧٧.  
(٢) الظهيرة: وقت شدة الحر.  
(٣) لأخذته حناناً، معناه: لأمسح به ولأعطف عليه.

لَكَ، فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غُلَامَةً ذَلِكَ، وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ [٢٢٠].

### عتقاء أبي بكر رضي الله عنه

ثم أعتق معه على الإسلام قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّ رِقَابٍ، بِلَالٍ سَابِعِهِمْ: غَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، شَهِدَ بَدْرًا وَأَحْدَا وَقُتِلَ يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ شَهِيدًا وَأُمُّ عُبَيْسٍ وَزَيْنَبَةُ<sup>(١)</sup>، وَأَصِيبُ بَصْرَهَا حِينَ أَعْتَقَهَا، فَقَالَتْ قَرِيشٌ: مَا أَذْهَبَ بِبَصْرَهَا إِلَّا اللَّاتُ وَالْعَزَى، فَقَالَتْ: كَذَبُوا وَبَيْتَ اللَّهِ، مَا تَضُرُّ اللَّاتُ وَالْعَزَى، وَمَا تَنْفَعَانِ، فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرَهَا؛ وَأَعْتَقَ الشَّهِيدَةَ وَبَنَتَهَا، وَكَانَتْ لَامرَأَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا وَقَدْ بَعَثْتُهُمَا سَيِّدَتُهُمَا بِطَحِينٍ لَهَا وَهِيَ تَقُولُ: وَاللَّهِ، لَا أَعْتَقُكُمَا أَبَدًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: جِلُّ يَا أُمَّ فُلَانٍ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَتْ: جِلُّ أَنْتِ أَفْسَدْتُهُمَا فَأَعْتَقْتُهُمَا، قَالَ: فَبِكُمُ هُمَا؟ قَالَتْ: بَكْذَا وَكَذَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُمَا وَهَمَا حُرَّتَانِ، أَرْجِعَا إِلَيْهَا طَحِينَتَهَا، قَالَتْ: أَوْ تَفْرَغْ مِنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ نَرِّدْهُ إِلَيْهَا؟ قَالَ: ذَلِكَ إِنْ شِئْتُمَا.

وَمَرَّ بِجَارِيَةٍ بَنِي مُؤْمَلٍ - حَيٍّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ - وَكَانَتْ مُسْلِمَةً، وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُعَذِّبُهَا لِتَتْرَكَ الْإِسْلَامَ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ مُشْرِكٌ وَهُوَ يَضْرِبُهَا، حَتَّى إِذَا مَلَّ قَالَ: إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ، إِنِّي لَمْ أَتْرُكْكِ إِلَّا مَلَالَةً، فَتَقُولُ: كَذَلِكَ فَعَلَّ اللَّهُ بِكَ، فَأَبْتَاغَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْتَقَهَا [٢٢١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَاةَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أُرَاكَ تُغْتَبِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ أَعْتَقْتِ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يَا أَبَتِ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ اللَّهُ، قَالَ: فَيَتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ

[٢٢٠] إسناده ضعيف لانقطاعه وفي متنه نكارة فإن ورقة بن نوفل لم يعيش حتى بعث النبي ﷺ وإلا كان قد آمن به فإنه مات قبل البعثة. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٤٨) من طريق ابن إسحاق به. وذكره من هذا الطريق الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٢) وقال: هذا مرسل ولم يعيش ورقة إلى هذا الوقت اهـ.

[٢٢١] ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/٤٣٤) وعزاه ليونس بن بكير في «زيادات المغازي» لابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه به. وقصه زبيرة وأصابه بصرها ينظر لها الإصابة (٨/١٥١).

(١) الزنابير: الحصى الصغار، واحدها زبيرة وكذا قيده الدارقطني. ومن رواه: زبيرة فهو من زبزه أي: زجره، والنون فيه زائدة. وقد يقال: زبزت الكتاب أيضاً: إذا كتبه.

(٢) جِلُّ يَا أُمَّ فُلَانٍ، معناه: تحللي من يمينك واستثني فيها، وأكثر ما تقوله العرب بالنصب، وقد روي بالوجهين هنا بالرفع والنصب.

الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥ - ٦] إلى قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا أَيُّقَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٥﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢٦﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٥، ٢٦].

### عمار بن يسار وأبوه وأمه يعذبون في سبيل الله

قال ابن إسحاق: وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بَعْمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَبِأَبِيهِ وَأُمِّهِ - وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ (٦٠/ب) إِسْلَامٍ - إِذَا حَمِيَتِ الظُّهَيْرَةُ يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ<sup>(١)</sup> فَيَمْرُ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَيَقُولُ فِيمَا بَلَّغَنِي «صَبِرًا آلُ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ» [٢٢٣] فَأَمَّا أُمُّهُ فَتَقْتُلُوهَا وَهِيَ تَأْتِي إِلَّا الْإِسْلَامَ.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرجل قَدْ أُسْلِمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنْعَةٌ أَنَّهُ<sup>(٢)</sup> وَخَزَاهُ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ: تَرَكْتُ دِينَ أَيْبِكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، لِنُسْفَهَنَ جِلْمَكَ، وَلِنُفَيْلِنَ رَأْيِكَ<sup>(٤)</sup>، وَلِنُضَعَمَنَّ شَرَفَكَ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاللَّهِ، لِنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلِنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَنَاهُ وَأَعْرَضْنَا بِهِ [٢٢٤].

قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن

[٢٢٢] إسناده ضعيف. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥٨/٣) من طريق ابن إسحاق.

[٢٢٣] ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة فأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١٢٣/٤ - ١٢٤) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني رجال من آل عمار بن ياسر: أن سمية أم عمار عذبتها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام وهي تأتي غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضان مكة فيقول: صبراً آل ياسر موعدهم الجنة.

وسنده ضعيف لجهالة شيوخ ابن إسحاق وإعضاله أيضاً. وأخرجه الحاكم (٨٨/٣) ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٢/٢) من طريق أبي الزبير عن جابر به.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٠/١) من طريق سالم بن أبي الجعد عن عثمان به. وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٨٧/٤) رقم (٤٠٣٤) وعزاه للحارث بن أبي أسامة وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٦/٩) وعزاه للطبراني وقال: رجاله ثقات.

[٢٢٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧٦/٣) عن ابن إسحاق.

(١) الرُمضاء: الرمل الحار من شدة حرارة الشمس.

(٢) أَنَّهُ، أَي: عَاتِبَهُ.

(٣) خَزَاهُ: مِنَ الْخَزْيِ، وَمِنْ: رَوَاهُ خِذَاهُ، فَمَعْنَاهُ: ذَلِكَ.

(٤) لِنُفَيْلِنَ رَأْيِكَ، مَعْنَاهُ: لِنُضَعَمَنَّهُ، يُقَالُ: رَجُلٌ فَيْلُ الرَّأْيِ، أَي: ضَعِيفُهُ.

عباس: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعَذَّرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ؛ إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيَعْطِشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدُرُ عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يُغَطِّيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: اللَّاتِ وَالْعِزَّى إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فيقول: نعم، حَتَّى إِنْ الْجَعَلَ لِيَمُرُّ بِهِمْ فيقولون له: هَذَا الْجَعْلَ إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فيقول: نعم، افتدأء منهم مما يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ [٢٢٥].

### مشركو مكة يحاولون إيذاء جماعة ممن أسلموا فيدفعهم الله عنهم

قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد، أنه حدث، أن رجلاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد - حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة - وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا: منهم سلمة بن هشام، وعيَّاش بن أبي ربيعة، قال: فقالوا له وحشوا شره: إنا قد أردنا أن نعتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أخذوا؛ فإنا نأمن بذلك في غيرهم، قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، وإياكم ونفسه، ثم قال [من الوافر]:

أَلَا لَا يُفْتَلَنُ أَخِي عَيْشٍ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَاحِي<sup>(١)</sup>

أخذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً، قال: فقالوا: اللهم العنه، من يغرر بهذا الحديث<sup>(٢)</sup>، فوالله، لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً، فتركوه ونزعوا عنه، قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

[٢٢٥] إسناده ضعيف. حكيم بن جبير ضعيف. قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب. وقال ابن معين: ليس بشيء، وتركه شعبة وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث. وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الدارقطني: متروك. ولخص الحافظ هذه الأقوال في «التقريب» فقال: ضعيف رمى بالتشيع.

ينظر «تهذيب الكمال» (١٦٧/٧ - ١٦٨) و«التقريب» (١٩٣/١) والأثر أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١٢٠٤/٤) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧٦/٣) من طريق ابن إسحاق.

(١) التلاحى في بيت الشعر معناه: اللوم.

(٢) قال الخشني: من يغرر بهذا الحديث، أي: من يبلطخ نفسه به ويؤذيها، يقال: غرر يغره: إذا لطمه بشر ونسبه إليه.